

معرفة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم

القرآن الكريم أنزله الله تعالى: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ﴾ [الزمر: ٢٣].
يُشَبِّهه بعضه بعضاً في الفصاحة والإعجاز، وعدم **التناقض**، وإبداع ألفاظه، واستخراج حكمه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].
يُثْنِي وَيُكْرِّرُ على مُرُورِ الأوقات، وكر الإعصار، واختلاف الأحوال، فلا يُمل ولا تخلق ديباج حسنه، ولا تنقضي عجائبه، ولا تفنى فوائده، ولا تَضْمَحَلُ اضمحلال غيره من الكلام، ف «لا يعرج فيقوم، ولا يزيغ فيستعجب، ولا يخلق على كثرة الرد».

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

فالذين في قلوبهم زيغ يدعون المُحْكَمَ الذي لا اشتباه فيه ولا اختلاف، وَيَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ من اللفظ؛ الذي يكون في موضع كذا وفي موضع كذا ابتغاء الفتنة؛ ليفتنوا بها الناس إذا وَضَعُوهُ على غير موضعه.
وفي القرآن ألفاظ لها في لسان العرب أكثر من معنى تُسَمَّى بالألفاظ المُشتركة، وتُلَقَّبُ بـ: «المُشترك اللفظي».

وفي القرآن ألفاظ لها معنى واحد، لكنها تصدق على أكثر من ذات، وتُسَمَّى بالألفاظ المُتَوَاطِئَة، وتلقب بـ: «المُتَوَاطِئ اللفظي».

والاهتمام ببيان معاني هذه الألفاظ واختلاف معانيها بحسب الموضع الذي جَاءَتْ فيه بدأ مع بداية التفسير، بل إنَّ الرُّسُولَ ﷺ وهو المُفسر والمُبين لكلام الله تعالى يَبَيِّنُ لصحابته شيئاً من ذلك لَمَّا أَشْكَلَ عليهم.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾. عَمَدْتُ إِلَىٰ عِقَالٍ أَسْوَدَ وَإِلَىٰ عِقَالٍ أَبْيَضَ، فَجَعَلْتُهُمَا تَحْتَ وَسَادَتِي، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ فِي اللَّيْلِ؛ فَلَا يَسْتَبِينُ لِي، فَعَدَوْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ»^(١).

وأنت ترى في هذا الحديث كيف فهم عدي بن حاتم الطائي أن المقصود من الخيط هو العقال: الحَبِيل الذي يشد به رُكبة البعير لئلا يهرب، فَبَيَّنَ له الرسول ﷺ الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ، فليس الْمَعْنَى ذلك الذي فهمه، ولكنه بَيَاضُ الْفَجْرِ وَسَوَادُ اللَّيْلِ. ويلاحظ أن فهم عدي لِمَعْنَى «خيط» لَمْ يَخْرُجْ فِيهِ عَنْ لِسَانِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ الْفَرْقُ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الْمَعْنَى الَّتِي فَهَمَهُ، وَبَيْنَ الْمَعْنَى الَّتِي أَرَادَهُ الشَّارِعُ، فَبَيَّنَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ هَذَا الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ فِي سِيَاقِهِ الَّتِي وَرَدَ فِيهِ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَئِنَّا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟! قَالَ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ؛ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ: بِشِرْكَ، أَوْ لَمْ تَسْمَعُوا إِلَىٰ قَوْلِ لُقْمَانَ لَابْنِهِ: ﴿يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»^(٢).

فانظر كيف فهم الصَّحَابَةُ مِنْ لَفْظَةِ «ظلم»، وكيف بَيَّنَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ الْمَقْصُودَ، وَأَزَالَ الْإِشْكَالَ الَّذِي حَصَلَ لَدَيْهِمْ، بِأَنَّهُ بَيَّنَّ أَنَّ الْمُرَادَ فِي الْآيَةِ: ظَلَمَ الْعَبْدَ لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ يَشْرِكُ بِرَبِّهِ غَيْرَهُ.

ومثل هذا وَنَحْوُهُ تَجَدَّدَ فِي كَلَامِ الصَّحَابَةِ - رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِم - فِي تَفْسِيرِ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصَّوْمِ، باب قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾. حديث رقم (١٩١٦)،

ومسلم في كتاب الصَّيَّامِ، باب: بَيَانُ أَنَّ الدَّخُولَ فِي الصَّوْمِ يَحْصُلُ بِطُلُوعِ الْفَجْرِ، حديث رقم (١٠٩٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾. حديث

رقم (٣٣٦٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: صدق الإيمان وإخلاصه، حديث رقم (١٢٤).

القرآن العظيم:

عن طاوس قال: سألت ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ [البقرة: ١٩٧]. قال: الرفث الذي ذكر في: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]. ذلك الجَمَاع.

عن ابن عباس قال: الدُّخُولُ والتَّغَشْيُ والإِفْضَاءُ والمُبَاشَرَةُ والرفث واللمس والمس والمَسِيس: الجَمَاع.

والرفث في الصَّيَام: الجَمَاع.

والرفث في الْحَج: الإِغْرَاءُ بِهِ.

وهذا العراب بكلام العرب، والتعريض بذكر النكاح^(١).

فهذا ابن عباس رضي الله عنه يفرق بين معنيين لكلمة واحدة وردت في آيتين.

عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

(١) عَزَاهُ فِي الدَّر الْمَشْهُور (٥٢٨/١) إِلَى: عَبْدِ الرَّزَاقِ، وَعَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ، وَابْنِ الْمُنْذِرِ، وَابْنِ بَيْهَقِي فِي سُنَنِهِ، وَالْأَثَرُ فِي سُنَنِ الْبَيْهَقِيِّ (١٦٢/): عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ T: ﴿وَمَنْ نَسَايَكُمْ آلَتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾: «الدُّخُولُ: النِّكَاحُ». يُرِيدُ بِالنِّكَاحِ: الْجَمَاعُ. وَقَالَ فِي الْمَسِّ وَالْمَسِّ وَالْإِفْضَاءِ نَحْوَ ذَلِكَ وَبَلَّغَنِي عَنْ طَاوُسٍ أَنَّهُ قَالَ: «الدُّخُولُ: الْجَمَاعُ».

وَفِي مُصَنَّفِ عَبْدِ الرَّزَاقِ (٢٧٧/٦)، وَبَنَحُوهُ عِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ (١٥٤/١)، وَابْنِ بَيْهَقِي فِي السُّنَنِ (١٢٥/١) (٤٢٤/٧)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «الدُّخُولُ وَالتَّغَشْيُ وَالْإِفْضَاءُ وَالْمُبَاشَرَةُ وَالرفث واللمس، هَذَا الْجَمَاعُ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ حَيَّي كَرِيمٌ يُكْنِي بِمَا شَاءَ عَمَّا شَاءَ».

وَفِيهِ عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «الدُّخُولُ وَالْمَسُّ وَالْمَسِيسُ: الْجَمَاعُ».

وَالرفث فِي الصَّيَامِ: الْجَمَاعُ.

وَالرفث فِي الْحَجِّ: الْإِغْرَاءُ بِهِ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ: الدُّخُولُ: الْجَمَاعُ».

الْكَافِرُونَ ﴿[المائدة: ٤٤].

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]. قال:

«كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق»^(١).

فابن عباس يُشير هنا إلى أنَّ المراد بالكفر هنا ليس الكفر المُخرج من المِلَّة المذکور في آيات أخرى، وكذا الظلم والفسق، إنَّما بحسب حال من يحكم بغير شرع الله، فأحياناً يكون كُفراً مُخرجاً من المِلَّة، وأحياناً لا يكون كذلك، وكذا الظلم والفسق.

وهذه الأسماء المُشتركة في اللفظ من المُتَشَابِه، وبعض الألفاظ المُتَوَاطِئَة أيضاً من المُتَشَابِه، ويُسمِّيها أهل التفسير: «الوجوه والنظائر»^(٢).

فما تعريف الوجوه والنظائر؟

✽ تعريف الوجوه والنظائر:

ذكر أهل العلم -رَحِمَهُمُ اللَّهُ- للوجوه والنظائر تعريفين:

- التعريف الأول:

الوجوه: اسم للمعاني.

النظائر: اسم للألفاظ.

وشرح التعريف: أن تكون الكلمة الواحدة ذُكرت في أكثر من موضع من القرآن على لفظ واحد، وعلى حَرَكَة واحدة، وأريد بكل كلمة معنًى غير الآخر،

(١) المُستدرک (٣٤٢/٢) مُختَصراً، ومن طريقه البيهقي (٢٠/٨)، وانظر: الدر المنثور (٨٧/٣).

(٢) مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى (٢٧٦/١٣).

فلفظ كل كلمه ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر^(١).

وتفسير كل كلمه بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجه.

قال ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) -رحمه الله- تعليقاً على هذا التعريف: «فهذا

الأصل في وضع كتب الوجوه والنظائر، والذي أراد العلماء بوضع كتب الوجوه والنظائر أن يعرفوا السامع لهذه النظائر أن معانيها تختلف، وأنه ليس المراد بهذه اللفظة ما أريد بالأخرى.

وقد تجوز واضعوها، فذكروا كلمة واحدة معناها في جميع المواضع واحد، كالبلد، والقرية، والمدينة، والرجل، والإنسان .. ونحو ذلك، إلا أنه يُراد بالبلد في هذه الآية غير البلد في الآية الأخرى، وبهذه القرية غير القرية في الآية الأخرى، فحذو بذلك حذو الوجوه والنظائر الحقيقية» اهـ.

وبلاحظ ما يلي:

- أن هذا التعريف يجعل موضوع كتب الوجوه والنظائر: المشترك اللفظي فقط.

- أن ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) -رحمه الله- يزعم أن هذا هو الأصل في وضع الوجوه والنظائر.

- أن وجود الألفاظ المتواطئة في كتب الوجوه والنظائر إنما هو من قبيل تجوز المصنفين وتساؤلهم على حد قول ابن الجوزي -رحمه الله-.

✳ التعريف الثاني:

الوجوه: اللفظ المشترك.

النظائر: اللفظ المتواطئ.

(١) نزهة الأعين النواظر (ص ٨٤).

وشرح التعريف: إذا كانت اللفظة الواحدة تَتَكَرَّرُ فِي مَوَاضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلَهَا فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَعْنَى غَيْرِ الْآخَرِ، فَهَذِهِ اللَّفْظَةُ يُقَالُ لَهَا: مُشْتَرَكٌ لَفْظِي.

وإذا كانت اللفظة الواحدة تَتَكَرَّرُ فِي مَوَاضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلَهَا فِي كُلِّ الْمَوَاضِعِ مَعْنَى وَاحِدٍ فَقَطْ، لَكِنْ هَذَا الْمَعْنَى يَصْدُقُ عَلَى أَفْرَادٍ كَثِيرِينَ، فَإِنَّهُ يُقَالُ لَهُ: مُتَوَاطِئٌ لَفْظِي.

ومثال المتواطئ: لفظه «قرية» حيث تكررت في القرآن في أكثر من خمسين موضعاً، ومن كل هذه المَوَاضِعِ مَعْنَى الْقَرْيَةِ وَاحِدٌ فَقَطْ، لَكِنْ الْمُرَادُ مِنْهَا يَخْتَلِفُ. فمثلاً في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة: ٥٨]. القرية هنا: أريحا، أو القدس.

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء: ٧٥]. القرية هنا: مكة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَسَّئِلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]. القرية هنا: مصر.

فمَعْنَى الْقَرْيَةِ فِي كُلِّ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ وَاحِدٌ، لَكِنْ الْمُرَادُ مِنْهَا يَخْتَلِفُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ عَنِ الْآخَرِ.

وقد اعتمد هذا التعريف للوجوه والنظائر ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، والزرکشي (ت ٧٩٤هـ)^(١)، والسيوطي (ت ٩١١هـ)^(٢) - رَحِمَهُمُ اللَّهُ -، وردوا التعريف الأول. قال ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «الوجوه في الأسماء المُشْتَرَكَةِ،

(١) البرهان في علوم القرآن (١/١٠٢).

(٢) الإتيان في علوم القرآن (الحلي - ١/١٨٥).

والنظائر في الأسماء المتواطئة.

وقد ظنَّ بعض أصحابنا المصنفين في ذلك: أن الوجوه والنظائر جميعاً في الأسماء المشتركة؛ فهي نظائر باعتبار اللفظ، ووجوه باعتبار المعنى؛ وليس الأمر على ما قاله، بل كلامهم صريح فيما قلناه لمن تأمله» اهـ^(١).

وعلل الزركشي وتبعه السيوطي ردَّ التعريف الأول، بأنه «لو أريد هذا -يعني: التعريف الأول-؛ لكان الجمع في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة، فيجعلون الوجه نوعاً لأقسام، والنظائر نوعاً آخر»^(٢).

والذي يظهر -والله أعلم- مع هذا الواقع أنه ليس أمامنا إلا الكتب المصنفة في هذا العلم نستشف منها موضوعها، وهي تشمل المشترك اللفظي، ولم نر كتاباً منها اقتصر على المشترك فقط.

وما ذكره ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) -رحمه الله-: أن الأصل في وضع المصنفات في الوجوه والنظائر إنما هو المشترك اللفظي، وأن وجود المتواطئ اللفظي فيها إنما هو من قبيل تجوز المصنفين وتساؤلهم في تصنيفهم؛ **هذه** دعوى ينقصها البرهان والدليل، والله أعلم.

✽ فضل وأهمية معرفة الوجوه والنظائر:

معرفة الوجوه والنظائر من معرفة التفسير، وفضلها من فضله، فكل ما يُقال في فضل التفسير وأهميته يُقال في معرفة الوجوه والنظائر. وإذا كان شرف الصناعة إما بموضوعها، وإما بغرضها، وإما بشدة الحاجة

(١) مجموع الفتاوى (٢٧٦/١٣-٢٧٧).

(٢) البرهان (١٠٢/١)، والإتقان (الحلبي-١٨٥/١).

إليها ..

فإنَّ معرفة الوجوه والنظائر حازت الشرف من الجهات الثلاثة:
من جهة الموضوع: لأنَّ موضوعها كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة،
ومعدن كل فضيلة.

ومن جهة الغرض: لأنَّ الغرض من هذه المعرفة هو معرفة مُراد الله من كلامه،
والاعتصام به؛ للوصول إلى السَّعادة في الدَّارين.

ومن جهة شدة الحاجة: لأنَّ كل كمال ديني أو دُنْيوي عاجل أو آجل مُفتقر
إلى عُلوم الشَّريعة والمعارف الدِّينية، وهي مُتوقفة على العلم بكتاب الله تعالى؛ ومن
العلم بكتاب الله الكريم معرفة الوجوه والنظائر في الألفاظ القرآنية^(١).

زد على هذا: أنَّ فيه إظهاراً لنوع إعجاز في القرآن الكريم، حيث كانت الكلمة
الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً أو أكثر أو أقل، ولا يُوجد ذلك في كلام البشر.
كما أنَّ في طلب الوجوه والنظائر في القرآن الكريم تدبُّراً لكتاب الله ولِمَعانيه،
ففيه امتثال لأمره -تبارك وتعالى- لنا بتدبر القرآن، قال -تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَا
يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وقال -تبارك وتعالى-: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [مُحَمَّد: ٢٤].
ومن ذلك: قراءة القرآن الكريم، وفيها ما وُردَ في حديث ابن مسعود عن
الرسول ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ
﴿الْم﴾. حرف، ولكن (ألف) حرف، (ولام) حرف، (وميم) حرف»^(٢).

(١) انظر مُقدِّمة جامع التفاسير (ص ٩١).

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب فضائل القرآن، باب: ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، حديث
رقم (٣٠٨٧)، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٩/٣)، حديث رقم (٢٣٢٧)، ورواه
الدارمي وغيره، وصحَّحه مُحَقِّق جامع الأصول (٤٩٨/٨).

والمُشتغل بتطلب وتفهم وجوه ونظائر ألفاظ القرآن الكريم مُشتغل بالقرآن الكريم وقراءته، فله ذلك الأجر الذي ذكره المصطفى ﷺ.

✽ عيون من أمثلة الوجوه والنظائر :

– النكاح:

وردت في القرآن ويُراد بها أمور:

الأول: العقد، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩]. فإن قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ يدل على أن المراد العقد لا الوطء.

الثاني: الوطء، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠]. فقد بيّنت السنة أن المقصود لا مجرد العقد، إنما هو الوطء: «لَا، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ، وَيَذُوقُ عُسَيْلَتِكَ»^(١).

الثالث: العقد والوطء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢]. وظاهر أن المقصود بالنكاح في الآية العقد والوطء؛ فإنه لا يجوز العقد على زوجة الأب بله الوطء!

الرابع: بلوغ سن الحُلم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَابْتُلُوا آلَ النِّمَازِ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْعِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ

(١) جاء ذلك في قصة رفاة القرظي رحمه الله، أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب: إذا طلقها ثلاثاً، ثم تزوجت بعد العدة زوجاً غيره، فلم يمسه، ومسلم في كتاب النكاح، باب: لا تحل المطلقة حتى تنكح زوجاً غيره ويطأها من حديث عائشة رضي الله عنها، جامع الأصول (١١/٤٩٧-٤٩٩).

وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ [النساء: ٦].

الخامس: المهر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتَّعِفِ الَّذِينَ لَا يَحِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣].

– الجزء:

وردت في القرآن ويُراد بها أمور:

الأول: بعض الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُمْ جُزْءًا﴾ [البقرة: ٢٦٠].

الثاني: الولد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ [الزخرف: ١٥]، وهم إنما ادَّعوا الولد لله – تعالى عما يقولون علواً كبيراً –؛ فسماه جُزْءاً.

– الإنسان:

وردت في القرآن العظيم ويُراد بها أمور منها:

أحدها: عُموم جنس البشر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢].
لذلك سلط عليه الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

الثاني: آدم أبو البشر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦].

الثالث: الكافر، ومنه قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجَمَعَ عِظَامُهُ﴾ [القيامة: ٣].
لأنَّ المؤمن لا يظن ذلك بله اعتقاده.

– صاحب:

وردت في القرآن ويُرادُ بِهَا أمور:

أحدها: النبي ﷺ ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿[النجم: ١-٢].

الثاني: أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

الثالث: الزوج ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَصَاحِبِهِ وَبَيْنِهِ﴾ [عبس: ٣٦].

- الأمر:

وردت في القرآن ويُرادُ بِهَا أمور منها:

أحدها: الدين ، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٤٨].

الثاني: العذاب ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعِصَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [هود: ٤٤].

الثالث: الوحي ، ومنه قوله تعالى: ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥].

الرابع: فتح مكة ، ومنه قوله تعالى ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ [التوبة: ٢٤].

- الإحصان:

وردت في القرآن ويرادُ بِهَا أمور:

أحدها: الإحصان في الزنا الذي يوجب الرِّجْمَ عَلَى الزَّانِي، وهو الوطء بنكاح.
قال النووي: «ليس له ذكر في القرآن العزيز إِلَّا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْتَفْجِحِينَ﴾ اهـ.

الثاني: وهو الإحصان في المَقْدُوف وهو العَفَّة، وهو الذي يُوجب عَلَى قاذفه ثَمَانِينَ جَلْدَهُ، ومنه قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ [النور: ٤].

الثالث: الإحصان بمعنى الحرية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾.

الرابع: الإحصان بمعنى التزويج، ومنه قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

الخامس: الإحصان بمعنى الإسلام، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ﴾. على قول ابن عمر، وابن مسعود، والشَّعْبِي وإبراهيم، والسدي. وذهب ابن عباس، وسعيد بن جبیر، ومُجَاهِد، وقتادة -رَحِمَهُمُ اللَّهُ- إلى معناها في الآية:

أحصن: تزوجن.

- الصلاة:

وردت في القرآن ويُراد به أمور:

الأول: الصَّلَاةُ الشرعية، ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [النمل: ٣]. وكذلك كل صلاة **مقرونة** بالزكاة في القرآن الكريم.

الثاني: المغفرة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الثالث: الدعاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

الرابع: القراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتَ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠].

الخامس: موضع الصَّلَاة، ومنه قوله تعالى: ﴿لَهُدًى مَتَّ صَوْمُعُ وَيَعُ وَصَلَاتُ﴾

وَمَسْجِدٌ ﴿الْحَجَّ: ٤٠﴾.

السادس: صلاة الجمعة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

* مسائل و تنبيهات:

مسألة الوجوه والنظائر من التفسير، فيشترط لقبولها ما يشترط في قبول التفسير بالرواية والدراية، بمعنى: أنَّ المعاني التي تذكر للألفاظ القرآنية، وكانت من باب الوجوه والنظائر، وكانت مما لا طريق **إلى** معرفته إلا الرواية؛ فإننا لا نقبل هذا المعنى، وكذا إذا كانت المعاني الواردة مما لا سبيل إلى معرفته إلا بالدراية؛ فإننا نشترط لقبولها شروط قبول التفسير بالدراية «بالرأي»، والله أعلم.

مسألة: لا يخرج في معاني الألفاظ القرآنية التي من قبيل الوجوه والنظائر عن حدِّ الشرع واللغة العربية، مع مراعاة تقديم المعنى الشرعي على اللغوي، إذا **اجتمع**، ولم **تأت** قرينه دالة على المعنى اللغوي، كما في كلمة «الصلاة» و«الزكاة» مثلاً.

* تنبيه:

بناء على ما تقدم نقول: العمدية في بيان الألفاظ التي لها وجوه في القرآن هو: علم التفسير، لا علم اللغة فقط، فليس كل ما ساع لغة ساع تفسيراً، فلو وردت لفظة في القرآن الكريم، وتكررت في مواضع منه، وكان لها في اللغة العربية أكثر من معنى؛ فإننا لا نستطيع أن نقول: إنها وردت بجميع هذه المعاني في القرآن حتى نتأكد من ذلك على مقتضى الشروط الموضوعية لقبول التفسير الاجتهادي.

* تنبيه:

ليس كل ما جاء في كتاب الوجوه والنظائر مُسلم، بل لابد من اعتباره وسبره، فقد يذكرون للفظ الواحد أكثر من معنى أو مراد، ولا يسلم له؛ إذ تكون جميعها

راجعة إلى معنى واحد.

بل قد يذكرون للكلمة الواحدة عدة أوجه: أحدها حقيقتي، وسائرهما مجاز وتأويل لا داعي له كما قال ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) في معنى كلمة «نزل»: إنها وردت على أربعة أوجه:

أحدها: القول، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣].
الثاني: الخلق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥].
الثالث: البسط، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٢٧].
الرابع: نفس الإنزال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ﴾ [الشورى: ٢٨].
قلت: يلاحظ ما يلي:

أن جميع هذه المعاني عدا الرابع من قبيل المجاز والتأويل.
أن المعنى الحقيقي لكلمة نزول هو الرابع.

أن شيخ الإسلام ابن تيمية ألف رسالة اسمها «البيان في نزول القرآن» قال فيها: «ليس في القرآن ولا في السنة لفظ نزول إلا وفيه معنى التناول المعروف، وهذا هو اللائق بالقرآن، فإنه نزل بلغة العرب، ولا تعرف العرب نزولاً إلا بهذا المعنى، ولو أريد غير هذا المعنى؛ لكان خطاب **بغير** لغتها، ثم هو استعمال اللفظ المعروف له معنى في معنى آخر بلا بيان، وهذا لا يجوز.. وبهذا يحصل مقصود القرآن واللغة الذي أخبر الله تعالى أنه بينه وهدى للناس». اهـ.

مثال آخر: كلمة «ساق» ذكر ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) أنها وردت في القرآن على وجهين:

أحدهما: العضو المعروف، ومنه قوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]. والسوق: جمع ساق.

الثاني: الشدة، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢].

وقوله: ﴿وَالْنَفَثِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩].

قلت: يلاحظ ما يلي:

- ١- أن الاستعمال لكلمة «ساق» هو العضو المعروف.
 - ٢- أن هذا الاستعمال ينطبق على الآية الأولى والثالثة، ولا مانع من إرادته.
 - ٣- أن الآية الثانية ورد في التفسير بالمأثور **حديث** عن الرسول ﷺ بين فيه المراد: عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أذا جمع الله العباد بصعيد واحد؛ نادى مناد: يلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، ويبقى الناس على حالهم، فيأتيهم فيقول: ما بال الناس ذهبوا، وأنتم هاهنا؟! فيقولون: ننتظر إلهنا. فيقول: هل تعرفونه؟ فيقول: إذا تعرف إلينا عرفناه. فيكشف لهم عن ساقه؛ فيقعون سجداً، وذلك قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ويبقى كل منافق فلا يستطيع أن يسجد، ثم يقودهم إلى الجنة».
- مسألة: يُدرجون في كتب الوجوه والنظائر حروف المعاني حيث يرد الحرف منها في أكثر من موضع، وله عدة **معانٍ**.

✽ أشهر الكتب المصنفة في الوجوه والنظائر:

- اهتمَّ العلماء -رحمهم الله- بهذا العلم، وصنفوا فيه مصنفات كثيرة منها:
- ١- كتاب «الأشباه والنظائر» لمقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ) مطبوع.
 - ٢- كتاب «تحصيل نظائر القرآن» للحكيم الترمذي (ت ٣٢٠هـ) مطبوع.
 - ٣- كتاب «الوجوه والنظائر في القرآن الكريم» للدماغاني (ت ٤٧٨هـ) مطبوع.
 - ٤- كتاب «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر» لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) مطبوع.
 - ٥- كتاب «كشف السرائر عن معاني الوجوه والنظائر» لابن عماد (ت ٨٨٧هـ)

مطبوع.

✽ فائدة:

كَمَا صَنَفُوا فِي الْوُجُوهِ وَالنَّظَائِرِ فِي أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ صَنَّفُوا أَيْضًا فِي
الْوُجُوهِ وَالنَّظَائِرِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ مُصَنِّفًا
فَرِيدًا فِي بَابِهِ لَمْ أَرَ غَيْرَهُ اسْمُهُ: «الْقُرْآنُ وَأَثَرُهَا فِي الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ» فِي مُجَلَّدَيْنِ
تَأْلِيفَ: مُحَمَّدٍ سَالِمٍ مُحِيسِنٍ.

هَذَا آخِرُ مَا تَيْسَّرَ لِي حَوْلَ هَذَا الْمَوْضُوعِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ
الصَّالِحَاتُ، وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ
إِلَيْكَ ..

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ
مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ؛ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ..
